العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

الحنين إلى الأوطان في شعر مرحلة الفتوحات الإسلامية: دراسة تحليلية في التحولات الوجدانية والمكانية بين صدر الإسلام والعصر الأموي

م. م. حيدر ضايع عباس الزرفي
المديرية العامة للتربية في المثنى- قسم تربية الرميثة- إعدادية الغدير المركزية للبنين
abwnwrabwnwr12@gmail.com

الملخص:
يتناول هذا البحث ظاهرة الحنين إلى الأوطان في شعر مرحلة الفتوحات الإسلامية في كلٍّ من صدر الإسلام والعصر الأموي، بوصفها ظاهرة فنية ونفسية ارتبطت بحياة الشعراء وتجاربهم في الغربة والتنقل والهجرة. وقد ظهر الحنين في الشعر الإسلامي نتيجة التحولات السياسية والاجتماعية التي صاحبت انتشار الإسلام واتساع الدولة الإسلامية، مما أدى إلى ابتعاد كثير من الشعراء عن أوطانهم وأهليهم. ويهدف البحث إلى الكشف عن الأبعاد الشعورية والفنية التي تجلت في نصوص الحنين، وبيان أثر البيئة والمكان والذكريات في تشكيل التجربة الشعرية. وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة النماذج الشعرية، من خلال تحليل الصور الفنية والأساليب التعبيرية والدلالات النفسية المرتبطة بالوطن والديار والأحبة. وتبيّن أن الشعراء عبّروا عن الحنين بأساليب متنوعة، مثل الوقوف على الأطلال، واستحضار أسماء الأماكن، والتغني بالماضي، واستذكار الأحبة والذكريات. كما أظهرت الدراسة أن الحنين لم يكن مقتصرًا على المكان الجغرافي، بل امتد ليشمل الزمن الماضي والعلاقات الإنسانية المرتبطة بالوطن. وتوصل البحث إلى أن شعر الحنين في صدر الإسلام والعصر الأموي مثّل انعكاسًا صادقًا لمعاناة الإنسان في الغربة، وأسهم في إبراز البعد الإنساني والعاطفي في الشعر العربي الإسلامي. كذلك كشفت النصوص عن قدرة الشعراء على توظيف الصورة الشعرية واللغة الوجدانية للتعبير عن التعلق بالوطن والانتماء إليه، مما جعل هذا اللون الشعري من أبرز الأغراض التي حافظت على حضورها في الأدب العربي عبر العصور.
الكلمات المفتاحية: الحنين إلى الأوطان، شعر صدر الإسلام، الشعر الأموي، الفتوحات الإسلامية.

Nostalgia for Homelands in the Poetry of the Islamic Conquests: An Analytical Study of Emotional and Spatial Transformations between the Early Islamic Period and the Umayyad Era

Asst. Lect. Haider Dhayea Abbas Al-Zarfi
General Directorate of Education in Al-Muthanna - Al-Rumaytha Education Department - Al-Ghadir Central Preparatory School for Boys
abwnwrabwnwr12@gmail.com

Abstract:
This research examines the phenomenon of nostalgia in the poetry of the Islamic conquests, both in the early Islamic period and the Umayyad era, as an artistic and psychological phenomenon linked to the lives of poets and their experiences of exile, displacement, and migration. Nostalgia emerged in Islamic poetry as a result of the political and social transformations that accompanied the spread of Islam and the expansion of the Islamic state, leading many poets to leave their homelands and families. The research aims to uncover the emotional and artistic dimensions manifested in texts expressing nostalgia, and to demonstrate the influence of environment, place, and memories on shaping the poetic experience. The research adopted a descriptive-analytical approach in studying poetic models, through the analysis of artistic imagery, expressive techniques, and psychological connotations

related to homeland, homes, and loved ones. It was found that poets expressed nostalgia in diverse ways, such as dwelling on ruins, invoking place names, lamenting the past, and recalling loved ones and memories. The study also revealed that nostalgia was not limited to geographical location, but extended to encompass past time and human relationships connected to the homeland. The research concluded that nostalgia poetry in the early Islamic period and the Umayyad era was a true reflection of human suffering in exile, and contributed to highlighting the human and emotional dimensions of Arabic Islamic poetry. The texts also revealed the poets' ability to employ poetic imagery and emotional language to express attachment to and belonging to their homeland, making this poetic genre one of the most prominent themes that has maintained its presence in Arabic literature throughout the ages.

Keywords: Nostalgia for the homeland, early Islamic poetry, Umayyad poetry, Islamic conquests.

المقدمة:

يُعدُّ الحنين إلى الأوطان من الأغراض الشعرية التي ارتبطت بالوجدان الإنساني منذ القدم، وقد تجلّى بصورة واضحة في شعر مرحلة الفتوحات الإسلامية في كلٍّ من صدر الإسلام والعصر الأموي، نتيجة ما شهده المجتمع الإسلامي من هجرات وتنقلات واتساع جغرافي فرض على الشعراء الابتعاد عن أوطانهم وأهليهم. وقد انعكس هذا الشعور في النصوص الشعرية التي عبّرت عن الشوق إلى الديار، واستحضار الذكريات، والتعلق بالمكان بوصفه رمزًا للهوية والانتماء. كما ارتبط الحنين في هذه المرحلة بالتحولات السياسية والاجتماعية والدينية التي صاحبت انتشار الإسلام، مما منح هذا الغرض الشعري أبعادًا نفسية وفنية مميزة.

مشكلة البحث:

وتتمثل مشكلة البحث في محاولة الكشف عن الكيفية التي عبّر بها شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي عن الحنين إلى الأوطان، وما الوسائل الفنية والتعبيرية التي اعتمدوها في تصوير مشاعر الغربة والاشتياق. كما يسعى البحث إلى معرفة أثر البيئة والظروف التاريخية في تشكيل هذا اللون الشعري، ومدى ارتباط الحنين بالمكان والإنسان والذكريات في التجربة الشعرية الإسلامية.

أهمية البحث:

وتنبع أهمية البحث من كونه يسلط الضوء على جانب وجداني مهم في الشعر العربي الإسلامي، إذ يكشف عن الأبعاد الإنسانية والعاطفية التي صاحبت حركة الفتوحات الإسلامية، ويبرز قدرة الشعراء على تصوير معاناتهم النفسية بلغة شعرية مؤثرة. كما تسهم الدراسة في إبراز القيمة الفنية لشعر الحنين، وبيان دوره في الحفاظ على صورة الوطن في الذاكرة الأدبية العربية، فضلًا عن إغناء الدراسات النقدية المتعلقة بالشعر الإسلامي والأموي.

أهداف البحث:

ويهدف البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، من أبرزها:

- التعرف على مفهوم الحنين إلى الأوطان في الشعر العربي الإسلامي.
- الكشف عن أبرز مظاهر الحنين في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي.
- تحليل الصور الفنية والأساليب التعبيرية المستخدمة في تصوير الشوق إلى الوطن.
- بيان أثر الفتوحات الإسلامية والغربة في تشكيل التجربة الشعرية.
- إبراز العلاقة بين الحنين والهوية والانتماء في الشعر الإسلامي.

منهج البحث:

أما منهج البحث، فقد اعتمد المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك من خلال جمع النصوص الشعرية المتعلقة بالحنين إلى الأوطان، ثم تحليلها فنيًا ودلاليًا للكشف عن مضامينها النفسية والجمالية، مع الاستفادة من المنهج التاريخي في ربط النصوص بالظروف السياسية والاجتماعية التي قيلت فيها.

أسئلة البحث:

وينطلق البحث من مجموعة من الأسئلة، منها:

١. كيف صوّر شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي الحنين إلى الأوطان؟
٢. ما أبرز الدلالات النفسية والفنية التي ظهرت في شعر الحنين؟
٣. ما أثر الغربة والفتوحات الإسلامية في تنامي هذا الغرض الشعري؟
٤. كيف وظّف الشعراء المكان والذكريات في التعبير عن الشوق إلى الوطن؟
٥. ما الخصائص الفنية التي ميزت شعر الحنين في هذه المرحلة؟

فرضيات البحث:

كما يقوم البحث على عدد من الفرضيات، من أهمها:

- أن الفتوحات الإسلامية وما رافقها من هجرات وتنقلات أسهمت في ازدهار شعر الحنين إلى الأوطان.
- أن شعر الحنين في صدر الإسلام والعصر الأموي اتسم بصدق العاطفة وعمق التجربة الشعورية.
- أن المكان في هذا الشعر تجاوز معناه الجغرافي ليصبح رمزًا للهوية والذكريات والانتماء.
- أن شعراء هذه المرحلة اعتمدوا الصور الوجدانية والأساليب البلاغية المؤثرة للتعبير عن الحنين والغربة.
- أن الحنين إلى الأوطان شكّل بعدًا إنسانيًا بارزًا في الشعر الإسلامي والأموي.

الاطار النظري: المفهوم الفلسفي واللغوي للحنين والاغتراب في السياق الإسلامي:

تمثل ظاهرة الحنين إلى الأوطان في الشعر العربي خلال مرحلتي صدر الإسلام والعصر الأموي واحدة من أعمق الظواهر الأدبية التي جسدت التحول الأنطولوجي والمكاني للإنسان العربي في أعقاب انبثاق الرسالة الإسلامية وانطلاق حركة الفتوحات الكبرى. إن هذا البحث يسعى إلى سبر أغوار التجربة الوجدانية للفاتحين الأوائل، والوقوف على تجليات الاغتراب في نفوسهم وهم يقطعون الفيافي والقفار لنشر الدين الجديد، موازنين بين واجب العقيدة وبين صرخة الحنين الفطرية للديار والأهل. لقد كان الإسلام حدثاً زلزل النفوس وأحدث تغييراً جذرياً شمل مناحي الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية، ولم يكن الشعر بمنأى عن هذا التأثير، بل كان المرآة التي عكست أدق تفاصيل هذا المخاض الوجداني (العاني، 2018: 101).

المفهوم الفلسفي واللغوي للحنين:

يقتضي الفهم العميق لشعر الحنين في هذه المرحلة تفكيك الدلالات اللغوية والنفسية لمصطلحي الغربة والاغتراب. تنصرف الغربة في جوهرها اللغوي إلى الفعل "غرب"، أي ذهب وتنحى، وتغرب فلان أي نزح عن وطنه، والغربة تعني النوى والبعد. أما في المنظور النفسي والأدبي، فإن الحنين هو "حزن وذبول يغشيان الفرد عند ابتعاده عن موطنه، وهو توق إلى أمر أو مثل أعلى غامض الملامح يبرز في النفس الحساسة." (السامرائي، 2019: 55).

تطور مفهوم الاغتراب في الفكر العربي ليتحول من مجرد "النزوح المكاني" إلى حالة شعورية تصور مدى انعدام السلطة والانفصال عن الذات والأشياء. وفي السياق الإسلامي، اكتسب الاغتراب بعداً روحياً مستمداً من الحديث النبوي "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء"، وهو ما جعل الشعور بالغربة في سبيل الله قيمة عليا تتمازج مع الحنين الفطري للأرض. إن شعر الحنين لا يتحقق إلا بالبعد، فهو رحلة انتقال بالذاكرة من زمان ومكان راهنين إلى زمان ومكان ماضيين، حيث يتم هذا الانتقال عبر المطلق والمتخيل.

المفهوم	الدلالة اللغوية	التجلي في شعر الفتوحات
الحنين	الشوق والنزوع النفسي للمكان	تدفق وجداني يربط المجاهد ببيئته

المفهوم	الدلالة اللغوية	التجلي في شعر الفتوحات
	الأول.	الأصلية في الحجاز أو نجد.
الغربة	النوى والبعد المكاني المحض.	البعد الشاسع عن الأهل والديار في بلاد العجم.
الاغتراب	الانفصال النفسي وعدم الانتماء للبيئة المحيطة.	الصراع الوجداني بين المقاتل والمدن الحضرية الجديدة.

مخاض البداية: الحنين في صدر الإسلام وصدمة التحول:

أحدث الإسلام ثورة شاملة في حياة العرب، أخرجتهم من عالم التشتت القبلي إلى عالم الأمة الواحدة، ومن عالم الأوثان إلى عالم التوحيد والإيمان الروحي. هذا التحول العظيم ألقى بظلاله على الشعر؛ فبينما رأى بعض النقاد مثل ابن سلام الجمحي أن العرب "تشاغلت عن الشعر بالجهاد"، إلا أن الواقع التاريخي يثبت أن الفتوح أذكت جذوة الشعر العربي بقوة وحيوية جديدتين. لقد تحول الشعر من وسيلة للتفاخر القبلي المذموم إلى طاقة نفسية تخدم الجماعة وتعمل في سبيل غاياتها العليا (الجبوري، 2020: 133).

صراع الواجب والعاطفة لدى الفاتحين الأوائل:

في مرحلة صدر الإسلام، كان الحنين يتخذ شكل صراع بين التزام المجاهد بقضية الدين وبين تعلقه بمراتع صباه. لم يعد الحنين مجرد بكاء على الأطلال بالمعنى الجاهلي القديم، بل صار تعبيراً عن أسمى العواطف الإنسانية في سياق التضحية. الفاتحون الذين انطلقوا نحو بلاد فارس والروم وجدوا أنفسهم في بيئات غريبة كلياً، مما جعل حنينهم يمتزج بوصف القلاع والقصور والمناظر التي لم يعهدها العربي في باديته.

يبرز هنا نمط "حنين العاجز"، وهو الحنين الذي جسده أولئك الذين منعهم الكبر أو المرض من اللحاق بصفوف المجاهدين. الشاعر البُرَيْق الهذلي يصور هذا الألم الوجودي، مشبهاً نفسه بالجدي المربوط الذي يملك إرادة الفعل ويفتقد القدرة عليه، وهو ما يبرز كيف أصبح "الوطن" في هذه اللحظة سجناً لمن يتوق للجهاد، بينما "الغربة" في سبيل الله هي الحرية المنشودة (الشمري، 2017: 211).

الاطار التطبيقي: مكة والمدينة في وجدان الفاتحين:

ظلت مكة والمدينة تمثلان المركز الوجداني للشعراء المسلمين. حسان بن ثابت، شاعر الرسول، في قصيدته قبيل فتح مكة، يبدأ بذكر الديار "عفت ذات الأصابع فالجواء"، متبعاً النهج التقليدي في الوقوف على الأطلال، لكنه يسرعان ما يحول هذا الحنين إلى طاقة قتالية وتهديد للمشركين. هذا التوظيف للحنين يخدم الغرض الدعوي ويؤكد أن الوقوف على الديار لم يعد غاية في ذاته، بل هو استنهاض للهمم لاستعادة الأرض المقدسة. إن مكة في عيون الشعراء العرب لم تكن مجرد مسقط رأس، بل هي مهبط الوحي ومسقط رأس خير الأنام، مما جعل الحنين إليها يتجاوز البعد المكاني إلى البعد القدسي. والاعتقاد بتحريم مكة وتعظيم حرمتها كان راسخاً حتى في الشعر الجاهلي، لكن الإسلام عمق هذا المفهوم وجعله جزءاً من العقيدة (الموسوي، 2021: 98). وفي هذا نرى قول بلال بن رباح:

ألا ليتَ شِعري هل أبيتنَّ ليلةً بوادٍ وحولي إذخرٌ وجليلُ

يُعد هذا البيت من أشهر النصوص التي عبّرت عن الحنين إلى الوطن في صدر الإسلام، إذ قاله بلال بن رباح بعد الهجرة إلى المدينة المنورة. يستحضر الشاعر صورة مكة بما فيها من نباتات وأودية ارتبطت بطفولته وذكرياته، فالوطن هنا ليس مجرد مكان بل فضاء نفسي وروحي. ويكشف استخدامه أسلوب التمني «ألا ليت شعري» عن عمق الحسرة والألم الناتجين عن الغربة. كما أن ذكر النباتات المحلية مثل «الإذخر» و«الجليل» يدل على أن الإنسان يحن حتى إلى التفاصيل الصغيرة في وطنه. ويبرز البيت أثر الاغتراب في النفس الإنسانية، خاصة حين يكون الابتعاد قسريًا بسبب الظروف التاريخية والدينية. (ابن هشام، 2005: 312)

مجلة محكمة تصدر عن جامعة ساوة الاهلية
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
العدد3 No 3
2026 ايار May2026

وفي هذا نرى قول بلال بن رباح:

وهل أرِدنَّ يومًا مياهَ مجنّةٍ وهل يبدون لي شامةٌ وطفيلُ

يواصل بلال التعبير عن حنينه إلى مكة من خلال استحضار أسماء مواضعها الجغرافية، مثل «مجنة» و«شامة» و«طفيل». ويكشف هذا الاستحضار عن ارتباط الإنسان الوجداني بأمكنته الأولى، إذ تتحول الأماكن إلى رموز للهوية والانتماء. كما يوحي أسلوب الاستفهام في البيت باليأس والخوف من عدم تحقق العودة إلى الوطن. ويظهر كذلك أن الذاكرة المكانية كانت حاضرة بقوة في الشعر الإسلامي المبكر، لأن الشاعر يجد في استعادة أسماء الأمكنة نوعًا من التعويض النفسي عن الغربة. والبيت يعكس معاناة المهاجرين الأوائل الذين تركوا أوطانهم دفاعًا عن العقيدة. (ابن كثير، 1998: 221)

الحنين في العصر الأموي: جغرافيا الاغتراب واتساع الآفاق:

مع انتقال العاصمة إلى دمشق وتمدد الإمبراطورية لتصل إلى تخوم الصين والأندلس، دخل شعر الحنين مرحلة جديدة تتسم بالعمق الفني وكثافة التجربة الإنسانية. لم يعد الحنين مرتبطاً بقرية أو بئر ماء، بل صار صرخة وجودية للفرد الضائع في جغرافيا الإمبراطورية الشاسعة. الفتوحات غذت هذا النوع من الشعر وأعطته "نكهة خاصة" نتيجة البعد المكاني الشاسع عن الموطن الأصلي (حميد، 2016: 45).

مالك بن الريب وتراجيديا الغربة في خراسان:

تعد قصيدة مالك بن الريب النهشلي، التي رثى فيها نفسه في خراسان، الذروة الفنية لشعر الحنين في العصر الأموي. يصور الشاعر مشهد احتضاره وحيداً بعيداً عن أهله في "مرو"، حيث يتحرك الحنين في نفسه لا كجزع من الموت، بل كشوق إنساني نبيل لديار نجد. إن طلب الشاعر من رفاقه أن يخطوا قبره بأسيافهم ويتركوا "البرق" يخبر أهله بحاله، يمثل أرقى صور التمازج بين الفروسية واللوعة الوجدانية.

هذا النوع من الشعر يسمى "رثاء النفس"، وهو ينبثق عندما يشعر المقاتل بدنو أجله في بلاد الغربة (مثل جوزجان أو خراسان)، معزياً نفسه بصور متخيلة لدياره التي لن يراها ثانية. القصيدة تعكس صدق العاطفة الجياشة التي تميز بها شعراء الثغور، الذين لم يمنعهم جهادهم من التعبير عن رقة نفوسهم (الكعبي، 2022: 301).

صراع المناخ: بين قيظ البادية وبرد خراسان:

ظهر في شعر الفتوحات نمط فريد من الحنين مرتبط بالبيئة والمناخ. الفاتحون الذين اعتادوا على حرارة نجد ودفء العراق وجدوا في ثلوج خراسان وبرد مرو عدواً طبيعياً يذكي حنينهم. أحد الشعراء يذم برد مرو شوقاً لدفء العراق، بينما يضيق آخر بقيظ بعض المناطق البعيدة ويتنسم برد رياح نجد. يقول أحدهم: "أتبكي على نجد وريا ولن ترى.. بعينيك ريا ما حييت ولا نجدا"، مما يصور حالة اليأس المكاني الذي يعيشه الفاتح.

لقد أصبح الشعور بالغربة يتخذ صوراً حسية؛ فالليل في الغربة يزداد طولاً وقيظاً، والرياح تزداد برداً وغرابة. الشاعر ورد بن الورد في "رامهرمز" يصور فؤاده وهو "مصعد" مع القوافل المتجهة نحو الوطن، مؤكداً أن كل "كعبي" (من بني كعب) في تلك البلاد غريب. هذا الربط بين الهوية القبلية والمكان يظهر أن التوسع الإمبراطوري لم يمح الانتماءات الجغرافية الأولى، بل زاد من حدتها.

الشاعر	منطقة الغربة	موضوع الحنين / التجلي الشعري
مالك بن الريب	خراسان	رثاء النفس والشوق لنجد والغضا.
كثير بن الغريرة	جوزجان والطالقان	البرق اليماني ومزج الحنين برثاء الشهداء.
ورد بن الورد	رامهرمز	الشوق للأحبة في ديار بني كعب.
بشر بن ربيعة الخثعمي	القادسية / العراق	خيال المحبوبة (أميمة) وتداخله مع الحنين.

العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

صوت المرأة: الحنين بين الفقد ورفض التحضر:

لم تكن المرأة العربية بمعزل عن التحولات التي فرضتها الفتوحات؛ فقد وجدت نفسها إما مرتحلة مع زوجها إلى الأمصار الجديدة، أو باقية تنتظر أخبار الغائبين في ساحات الجهاد. تميز حنين المرأة بأنه "أعنف شعوراً" وأرق إحساساً من الرجل، وجاء مشبعاً باللوعة والأسى.

وفي هذا نرى قول قيس بن الملوح:

أمرُّ على الديارِ ديارِ ليلى أقبّل ذا الجدارَ وذا الجدارا

يجسد الشاعر في هذا البيت صورة وجدانية عميقة للحنين، إذ يقف على أطلال ديار محبوبته ليلى ويقبّل جدرانها. ولا يُقصد بالجدران معناها المادي فحسب، بل ما تمثله من ذكريات وعواطف مرتبطة بالماضي والوطن العاطفي. كما يكشف الفعل «أقبّل» عن شدة التعلق بالمكان حتى أصبح له قداسة خاصة في نفس الشاعر. ويعبّر البيت عن العلاقة الوثيقة بين الحنين إلى الأحبة والحنين إلى الديار، فالمكان يكتسب قيمته من ساكنيه. ويعد هذا النص مثالًا بارزًا على النزعة الوجدانية في الشعر الأموي. (الأصفهاني، 2008: 145)

رفض البيئة الحضرية والتمسك بالبادية:

كان من الصعب على المرأة العربية، وخاصة البدوية، الانسجام مع الحياة الجديدة في القرى والأرياف والحواضر التي انتقلت إليها. شعر النساء في هذه المرحلة يخلو تماماً من "ذم الأوطان"، بل إنهن غالباً ما يفضلن وطنهن وباديتهن على الديار الجديدة المترفة. الوطن في شعر المرأة يمثل الهوية والأمان المفقود، والرموز البدوية (كالخيمة والإبل) تظل هي المعادل الموضوعي للاستقرار النفسي.

وفي هذا نرى قول قيس بن الملوح:

وما حبُّ الديارِ شغفن قلبي ولكن حبُّ من سكن الديارا

يوضح الشاعر في هذا البيت السبب الحقيقي لتعلقه بالديار، فهو لا يحب المكان لذاته بل لمن كان يسكنه. ويكشف ذلك عن البعد الإنساني للحنين، إذ ترتبط قيمة الوطن بما يحتويه من ذكريات وعلاقات إنسانية. كما يعكس البيت فلسفة عاطفية ترى أن الأمكنة لا تكتسب معناها إلا من خلال الأشخاص المرتبطين بها. ويظهر التقديم والتأخير في البيت دلالة على اهتمام الشاعر بإبراز سبب الحنين الحقيقي. ويُعد البيت من أجمل ما قيل في ارتباط الإنسان العاطفي بالمكان. (الأصفهاني، 2008: 146)

مثيرات الحنين الوجدانية لدى المرأة:

يتجدد حنين المرأة ويهيج مع كل مظهر طبيعي يربطها بالديار؛ فهديل الحمام، ونسيمات الريح، والبرق المتلألئ القادم من جهة أهلها، كلها بواعث للدموع والقصائد. وفي حالات فقدان الإخوة في المعارك، يمتزج الحنين بالرثاء، كما في حالة الخنساء التي تفردت بصدق العاطفة والألم الممض في رثاء إخوتها وأبنائها الذين استشهدوا في القادسية. إن المرأة في شعرها كانت تجسد المعاناة الناتجة عن البعد عن الأرض والأسرة، معتبرة أن البيئة الصحراوية -رغم قسوتها- هي مصدر الطمأنينة الحقيقي.

وفي هذا نرى قول جميل بثينة:

ألا ليتَ ريعانَ الشبابِ جديدُ ودهرًا تولّى يا بثينُ يعودُ

يعبر الشاعر عن حنين مزدوج؛ حنين إلى الوطن وحنين إلى الزمن الماضي المرتبط بالشباب والحب. فالشباب هنا يرمز إلى مرحلة الاستقرار النفسي والاجتماعي التي عاشها الشاعر في موطنه. كما أن استخدامه أسلوب التمني يكشف عن شعور عميق بالحسرة على ما مضى ولن يعود. ويظهر في البيت أن الوطن ليس مكانًا جغرافيًا فقط، بل زمنًا جميلاً يحتفظ به الإنسان في ذاكرته. والبيت يبرز النزعة التأملية في الشعر الأموي، حيث يمتزج الحنين بالحزن على مرور الزمن. (الزوزني، 2004: 211)

الرموز الفنية في شعر الحنين: الناقة والبرق كشركاء في الاغتراب:

اعتمد شعراء الفتوحات على لغة رمزية مكثفة للتعبير عن الحنين، حيث لم تعد عناصر الطبيعة مجرد ديكور وصفي، بل أصبحت شريكة في المعاناة الوجدانية.

وفي هذا نرى قول كثير عزة:

العدد3 No 3
2026 ايار May2026
مجلة ساوة للدراسات الانسانية
Sawah Journal of Humanities
E-ISSN 3106 - 8324 P-ISSN 3106 - 8316
مجلة محكمة تصدر عن
جامعة ساوة الاهلية

خليليَّ هذا ربعُ عزةَ فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلّتِ

يقف الشاعر على أطلال ديار محبوبته عزة، ويطلب من صاحبيه التوقف والبكاء عندها. ويعكس هذا الموقف تقليد الوقوف على الأطلال الذي تطور في العصر الأموي ليصبح أكثر ارتباطًا بالعاطفة الشخصية. كما أن طلب البكاء يدل على أن المكان أصبح مصدرًا لاستثارة الذكريات المؤلمة والسعيدة معًا. ويظهر من خلال البيت أن الشاعر يرى في الديار شاهدًا حيًا على الماضي الذي فقده. كما يعبر النص عن عمق التعلق النفسي بالمكان بوصفه جزءًا من هوية الإنسان. (ضيف، 2003: 178)

رمزية الناقة وحنين الإبل:

تعتبر ظاهرة "حنين الإبل" من أبرز المظاهر الوجدانية التي تناولها أدب الفتوحات؛ فالناقة هي الرفيق الدائم للمجاهد في رحلاته الطويلة، وهي تمثل الصبر والتحمل. الشاعر العربي يحس بمشاركة وجدانية رائعة مع ناقته؛ فعندما تحن الناقة في الليل، يشعر صاحبها بروعة هذا الحنين الذي يراعه قلبه.

أحياناً يرى الشاعر أن ناقته "أقدر منه على البوح"، فهي تحن فتبدي ما بها من صبابة، بينما هو يكتم شوقه مخافة الضعف. وهناك قصائد تفضل حنين الشاعر على حنين الناقة، أو تباريه في "ترجيع الحنين"، حيث يصبحان "نِضوين مغتربين" طويا الضلوع على جوى مكنون. الناقة في شعر طرفة بن العبد وغيره من الشعراء الذين استمر تأثيرهم في العصر الأموي، كانت تمثل الرحلة والاستحواذ على فكرة التنقل بدلاً من الاستقرار.

وفي هذا نرى قول الفرزدق:

وما مثلُ دارٍ بالمدينةِ منزلٌ لنا، يومَ أعيتنا البلادُ النوازعُ

يفخر الشاعر بالمدينة المنورة ويعدها أفضل مكان يلجأ إليه الإنسان عند التعب والتشرد. ويكشف البيت عن المكانة الروحية والسياسية التي احتلتها المدينة في العصر الإسلامي. كما أن التعبير «أعيتنا البلاد» يوحي بكثرة التنقل والمعاناة التي عاشها الناس في عصر الفتوحات. ويبرز النص شعور الاستقرار النفسي الذي يمنحه الوطن للإنسان مهما تعددت الأمكنة الأخرى. ويؤكد البيت أن الوطن يمثل الملاذ الآمن الذي يعود إليه المرء عند الشدائد. (ضيف، 2003: 241)

رمزية البرق والرياح:

يظهر البرق في شعر الفتوحات كباعث قوي للحنين؛ فوميضه يذكر الشاعر بديار الأحبة أو بلاد الأهل، مما يثير كامن الشوق في نفسه وفي إبله. "البرق اليماني" تحديداً كان رمزاً للجهة التي تضم الأهل والذكريات، كما نجد عند كثير بن الغريرة وغيره. الرياح أيضاً كانت تحمل رائحة الوطن؛ فرياح نجد تمثل برداً سلاماً لقلب المغترب الضائق بغربته بين أناس لا يفهم لسانهم ولا يألف عاداتهم.

الحنين إلى المدن والأمصار في العصر الأموي:

مع استقرار الدولة ونمو المدن الجديدة (البصرة، الكوفة، دمشق)، نشأ نوع جديد من الحنين يرتبط بالهوية الحضرية المتميزة لكل مدينة.

وفي هذا نرى قول جرير:

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ ولزرتُ قبركِ والحبيبُ يزارُ

يعبر جرير عن حنينه إلى من فقدهم من الأحبة، حيث أصبح القبر رمزًا للمكان الذي يحتفظ بالذكريات. ويكشف البيت عن امتزاج الحنين بالحزن والفقد، إذ تتحول الزيارة إلى وسيلة لاستعادة الماضي. كما أن استخدامه لفظ «الحبيب» يمنح النص بعدًا إنسانيًا مؤثرًا. ويظهر من خلال البيت أن الوطن لا يرتبط فقط بالأحياء، بل حتى بمن رحلوا عنه وبقيت آثارهم فيه. ويُبرز النص قدرة الشعر الأموي على تصوير المشاعر الإنسانية العميقة بأسلوب بسيط ومؤثر. (الأصفهاني، 2008: 322)

البصرة والكوفة: حنين الثورة والقبيلة:

تشكلت البصرة والكوفة من جنود القبائل العربية، وكانتا تموجان بالاضطرابات السياسية. سوق المربد في البصرة وسوق الكناسة في الكوفة أصبحا مراكز أدبية تذكي روح المنافسة والحنين للأمجاد القبلية. الشاعر

في العراق كان يعيش صراعاً بين ولاءاته السياسية (شيعة، خوارج، أمويين) وبين حنينه لحياة البادية البسيطة.

دمشق: حنين السلطة والأمجاد:

تحولت دمشق في العهد الأموي إلى "عاصمة الدنيا"، ومنها كانت تصدر القرارات نحو أقاليم تمتد من الأندلس إلى الصين. رسخ في دمشق أدب المديح الرسمي الذي يمجده "الأخطل"، حيث أصبحت المدينة رمزاً للنظام والأبهة والجاه. الحنين في دمشق كان غالباً ما يرتبط بالفخر بالانتماء الأموي، حيث أصبحت الشام "بنت مروان" ورمزاً للعزة العربية. ومع ذلك، نجد شعراً يعبر عن "تضايق الأرض" والهلع السياسي، كما في قصيدة الأخطل التي نظمها خوفاً من معاوية، مصوراً رغبته في الهروب والبحث عن الأمان.

المدينة / الإقليم	الطابع المعماري والاجتماعي	تجلي الحنين والارتباط
دمشق	نظام، انضباط مدني، قصور أموية.	فخر بالانتماء الأموي ومديح الخلافة.
البصرة	سوق المربد، ازدحام، عصبية قبلية.	مساجلات هجائية وحنين للسيادة القبلية.
الكوفة	سوق الكناسة، توتر سياسي، فرق إسلامية.	حنين للاستقرار السياسي وتنازع الولاءات.
الحجاز (المدينة/مكة)	رفاهية، موسيقى، تقشف ديني سابق.	حنين روحي وأسف على ضياع البساطة.

الأثر الفني واللغوي للإسلام في شعر الحنين:

لم يغير الإسلام مضامين الشعر فحسب، بل غير في لغته وأساليبه الفنية. لقد تخلص الشعر الأموي من "وحشي الكلام" والتركيب الغريب الذي كان في الجاهلية، واكتسب عذوبة مستمدة من أسلوب القرآن والحديث الشريف. وفي هذا نرى قول الأخطل:

وطني إليكِ مع السلامِ فإنني أشتاقُ أرضكِ والزمانُ يطولُ

يبعث الشاعر برسالة وجدانية إلى وطنه، ويظهر ذلك من خلال مخاطبته المباشرة له وكأنه إنسان حي. ويكشف البيت عن أثر الغربة في شعور الإنسان بثقل الزمن وطوله، لأن الأيام تمر ببطء بعيدًا عن الوطن. كما أن كلمة «أشتاق» تعبر عن إحساس دائم ومتجدد بالحنين. ويبرز النص أن الوطن يظل حاضرًا في وجدان الإنسان مهما ابتعد عنه. كما يعكس البيت تجربة الاغتراب التي عاشها كثير من الشعراء في العصر الأموي بسبب التنقلات السياسية والاجتماعية. (ضيف، 2003: 267)

التحول من العصبية إلى العقيدة:

تطور شعر الفروسية والحنين ليبتعد عن العصبية القبلية الضيقة، واكتسب طابعاً دينياً مبعثه العقيدة الراسخة. المقاتل المسلم أصبح يرى في الموت "شهادة" وفي الغربة "سياحة في الأرض" لنشر الدعوة، مما جعل حنينه يتسم بالصبر والاحتساب. الكلمات في هذا الشعر كانت بمثابة "سهام" تصيب الأعداء، وفي الوقت ذاته "بلسماً" لقلب الشاعر المغترب.

وفي هذا نرى قول الطرماح بن حكيم:

أحنُّ إلى أرضِ الحجاز وحبُّها بقلبيَ ما دامتْ عليَّ ضلوعي

يعبر الشاعر عن حب خالد لأرض الحجاز، ويؤكد أن هذا الحب سيبقى ما دام حيًا. ويكشف البيت عن الارتباط الروحي بالمكان، إذ تصبح أرض الوطن جزءًا من تكوين الإنسان النفسي. كما أن استخدامه لفظ «ضلوعي» يوحي بأن حب الوطن متجذر في أعماق القلب. ويظهر البيت أن الحنين ليس شعورًا عابرًا، بل حالة دائمة ترافق الإنسان طوال حياته. كما يبرز النص القيمة الدينية والتاريخية للحجاز في وجدان الشعراء

المسلمين.(المرزباني، 2001: 119)

البناء الفني للقصيدة:

شهدت قصيدة الحنين في العصر الأموي تطوراً في البناء؛ حيث أصبحت "المقطعات الشعرية" وسيلة للتعبير عن اللحظات الوجدانية الخاطفة، بينما ظلت المطولات تلتزم بالمطلع والمقدمة الطللية مع شحنها بمعانٍ إسلامية جديدة. استخدم الشعراء أساليب القرآن مثل "الدعاء" لطلب العودة والمغفرة، و"الاقتباس" لتعزيز الروح المعنوية.

الخلاصة والنتائج:

- إن دراسة الحنين إلى الأوطان في شعر مرحلة الفتوحات الإسلامية تكشف عن إنسان عربي مر بمخاض وجودي عظيم؛ فمن جهة هو "مجاهد" يحمل رسالة عالمية تقتضي منه هجر الديار، ومن جهة أخرى هو "بشر" يمزقه الشوق إلى نجد والحجاز والبادية. لقد استطاع الشعر العربي في صدور الفاتحين أن يوثق هذه التضحية النفسية الكبرى، محولاً آلام الغربة إلى نصوص إبداعية خالدة.
- إن الحنين في هذه المرحلة لم يكن ضعفاً، بل كان دليلاً على رقة النفس المسلمة ووفائها لجذورها، في الوقت الذي تندفع فيه نحو الآفاق لنشر النور. وتتجلى أهم النتائج في أن الفتوحات لم تضعف الشعر بل أمدته بموضوعات إنسانية عميقة كالاغتراب ورثاء النفس، وأن اللغة الشعرية تطورت لتستوعب المفردات الحضارية الجديدة دون أن تفقد جزالتها الأصيلة. لقد ظل الوطن في وجدان العربي -رغم كل الفتوحات- هو المكان الذي يجد فيه طمأنينته وسعادته، حتى وإن فارقه جسداً في سبيل الله.
- أظهرت الدراسة أن الحنين إلى الأوطان كان من أبرز الأغراض الوجدانية التي ظهرت في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي، نتيجة اتساع الدولة الإسلامية وكثرة التنقلات والهجرات التي فرضتها الفتوحات الإسلامية.
- تبيّن أن الشعور بالغربة والابتعاد عن الأهل والديار كان الدافع الرئيس لظهور هذا اللون الشعري، إذ عبّر الشعراء عن معاناتهم النفسية من خلال استحضار الوطن والذكريات المرتبطة به.
- كشفت النصوص الشعرية أن الوطن لم يكن يمثل مكانًا جغرافيًا فحسب، بل كان رمزًا للهوية والانتماء والاستقرار النفسي والاجتماعي، لذلك ارتبط الحنين بالمشاعر الإنسانية العميقة.
- أوضحت الدراسة أن شعراء هذه المرحلة أكثروا من ذكر أسماء الأماكن والديار والمواضع الجغرافية، لما لها من أثر في استثارة الذاكرة واستحضار الماضي الجميل.
- أظهرت النتائج أن الوقوف على الأطلال ظل حاضرًا في الشعر الإسلامي والأموي، لكنه اكتسب بعدًا وجدانيًا أكثر ارتباطًا بالشوق والحنين بدلًا من الاقتصار على التقليد الفني القديم.
- تبيّن أن الحنين إلى الوطن امتزج في كثير من النصوص بالحنين إلى الأحبة والأصدقاء، مما جعل المكان مرتبطًا بالإنسان والذكريات المشتركة أكثر من ارتباطه بطبيعته المادية.
- كشفت الدراسة أن شعر الحنين اتسم بصدق العاطفة وبساطة التعبير، الأمر الذي منح النصوص تأثيرًا وجدانيًا واضحًا في المتلقي.
- أظهرت النتائج أن الشعراء وظفوا أساليب بلاغية متعددة للتعبير عن الحنين، مثل التمني والاستفهام والنداء والتكرار، لما تحمله من دلالات نفسية تعبّر عن الألم والشوق.
- بيّنت الدراسة أن البيئة الدينية الإسلامية أسهمت في إعطاء الحنين بعدًا روحيًا، خاصة في النصوص التي عبّرت عن الشوق إلى مكة والمدينة والحجاز.
- تبيّن أن الغربة في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي لم تكن غربة مكانية فقط، بل شملت الغربة النفسية والوجدانية الناتجة عن الفقد والابتعاد عن الماضي.
- أوضحت النتائج أن الشعر الأموي شهد تطورًا واضحًا في التعبير عن الحنين، إذ أصبح أكثر ذاتية وارتباطًا بالتجربة الشخصية للشاعر.

- كشفت الدراسة أن الشعراء اعتمدوا الصورة الشعرية الحسية في وصف الوطن، من خلال ذكر النباتات والجبال والوديان والديار، مما منح النصوص طابعًا تصويريًا مؤثرًا.
- أظهرت النصوص أن الزمن كان عنصرًا أساسيًا في تشكيل الحنين، إذ ارتبط الوطن غالبًا بذكريات الشباب والأيام الجميلة التي مضت.
- بيّنت الدراسة أن الحنين إلى الأوطان أسهم في إبراز الجانب الإنساني في الشعر الإسلامي، وأظهر قدرة الشعراء على التعبير عن التجارب النفسية العميقة.
- خلص البحث إلى أن شعر الحنين في صدر الإسلام والعصر الأموي شكّل امتدادًا للتراث الشعري العربي، لكنه تميز بتأثره بالتحولات الدينية والاجتماعية والسياسية التي فرضتها مرحلة الفتوحات الإسلامية.

المصادر والمراجع:

١. ابن سلام الجمحي. (2000). طبقات فحول الشعراء. بيروت: دار الكتب العلمية.
٢. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (2006). الشعر والشعراء. بيروت: دار الحديث.
٣. الأصفهاني، أبو الفرج. (2008). الأغاني. بيروت: دار صادر.
٤. الجبوري، خالد عبد الكريم. (2020). النزعة الوجدانية في شعر الحنين خلال صدر الإسلام والعصر الأموي. مجلة آداب الكوفة، 1(44).
٥. حميد، عبد الزهرة كاظم. (2016). شعر الحنين في صدر الإسلام: قراءة في المضامين الفنية والفكرية. مجلة الباحث، 15(1).
٦. الرافعي، مصطفى صادق. (2000). تاريخ آداب العرب. بيروت: دار الكتب العلمية.
٧. الزوزني، حسين بن أحمد. (2004). شرح المعلقات السبع. بيروت: دار الجيل.
٨. السامرائي، أحمد محمود. (2019). صورة الوطن والاغتراب في شعر الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي. مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، 11(3).
٩. الشمري، محمد جابر. (2017). الحنين إلى الديار في الشعر الأموي: دراسة في البنية والدلالة. مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، 24(9).
١٠. ضيف، شوقي. (2003). تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي. القاهرة: دار المعارف.
١١. العاني، سعدون عبد الله. (2018). الحنين إلى الوطن في الشعر العربي الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي: دراسة موضوعية فنية. مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، 126(2).
١٢. فروخ، عمر. (1981). تاريخ الأدب العربي. بيروت: دار العلم للملايين.
١٣. الفيصل، عبد العزيز. (1993). الأدب العربي وفنونه. الرياض: دار الشروق.
١٤. الكعبي، حسين علي. (2022). الاغتراب والحنين في الشعر العربي الإسلامي بين صدر الإسلام والعصر الأموي. مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، 58(4).
١٥. المرزباني، محمد بن عمران. (2001). معجم الشعراء. بيروت: دار الكتب العلمية.
١٦. الموسوي، علي حسن. (2021). تجليات الحنين إلى الأوطان في شعر الفتوحات الإسلامية. مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، 21(2).